(جزءٌ من الليل)

آمل أن تكونوا بخير...

وأن لا تفقدوا الايمان بأنفسكم، وأن تظلوا شعلةً لتنير دروبكم، لا تيأسو فإن الله يحبكم...

****

البدايات والنهايات واجزاء الماضي الحب والخذلان والقوة المكتسبة بعدهم

تلك الايام

و هذه الليالي المليئة بالدفء والحب

وكل شيء تذكره راية ومشاعرها المتقلبة، خوفها من الماضي الذي حاصرها والحاضر الذي جعلها وحيدة

تغلبها على الحرب الداخلية وتمسكها بحربها الخارجية...

...مقدمة

عن الحُب واللاحب، التضحية والنجاح، عن كُلَ ...
تلكَ الآمال والأحلام التي ظلت في الذاكرة وبقيت بين اسطر هذه الرواية، عن تلك الأيام التي مضت ومضى قلبي معها، الروح والذي سكن بها... الماضي والحاضر وذاك الصراع الأبدي الذي خرج عن سيطرتي وتلك الأجزاء الصغيرة التي تحطمت وبُنيت في هذه القصة، عن العشق والهوى...سيظل عزيزي معي دومًا.

الاهداء...

الى وحدتي التي رافقتني دومًا

وإلى رجائي الدائم ودعائي في صلاتي إلى أمي أولاً وإلى ذاك المجهول

إلى صديقتي الجميلة التي لم تتركني أبدًا

إلى وسادتي وأحلامي لدموعي وللحب...

إلى كل من سيقرأ هذا وسيأخذه بِحُب

هذا عملي الأول وليس الأخير....

أتمنى لكِ دوام السعادة والحب يا جميلتي

أتمنى لك الحب والنجاح أيها الرائع

وإلى نفسي ثانيًا...

إلى كل من أحببت وسأحب لكم مني هذا

مع حبي.

في الماضي...

في ذاك اليوم بالتحديد ضاق صدري كثيرًا وخِفت أن تذهب ولا تعود وتتركني بمفردي كما تركت عائلتي من قبل، امتلأت عيناي بالدموع المالحة المثيرة للشفقة وكأنها أشفقت على حالي المجرم الذي أرتكب جريمته بقلبي وذهب، كنت أحلم لأراك لأسمعك لأهواك بلا أمل،سَمعت عن الحب وعن شيء يدعى بالهوس بك كنت أشتم رائحة المطر على أنها رائحتك كنت أعوضك بتلك الأشياء.

وفي الصباح الباكر ينتابني شعورٌ بأنك آتٍ أحضر القهوة وأقف أمام النافذة أنتظركَ، هل يا تُرى تستحق هذا أم أنه قليلٌ عليك؟

أنتظرك وتبرد القهوة وينتهي صباحي بجوليا وهي تقول:

(شي مرة تعا على قلبي بلا موعد دقاتوا سمعا....) حتى يُصيبني الهلع عليك! ويبدأ قلبي مجددًا

بالتحدث إليكَ كالمجنون، أين أنتَ يا غرامي؟ تأخرت كثيرًا آتى الصباح وحل الليل وأنت لم تأتِ الي، إنتهى الخريف وسيأتي الربيع غدًا وذَبلتُ ولن تأتي ولن أغفر ذنبك هذا، لو كان الحب كافيًا سَيتنحىَّ الفراق جانبًا، لا لم يكن ذاك الحب حبًا بل هو شيء يشبه الغيم ممتلئٌ بالوعود الكاذبة وعند أول منخفضٍ يُمطر، ويُمطر قلبي معه تأملت به خيرًا وظننت أن الخير بالشتاء وساء ظني وقَلُقَ حالي، بات المطر أسودًا من بِئس خيبتي به، من أحببته غائبًا حاضر لا خريفًا ولا ربيع.

أذكر عند وفاة أبيه لن تكن علاقتنا جيدة كُنا على وشك الإنفصال مجددًا وكالعادة تعلقنا أكثر لم نستطع أن نترك أنفسنا دوننا، أحبني بقسوةٍ شديدة لم يدرك أنني سأتركه حتمًا لأنني لن أحتمل إنقلابه وتغيره لهذه الدرجة ماذا فعلت له ؟

أيعقل أنه لم يكن هو الحب الذي بحثت عنه أم انني قصرت معه بشيء وهو كعادته يعاقبني بالأبتعاد والغياب، إلى متى سأظل أنتظرك؟ حتمًا سأتركه.

في صباح اليوم التالي اِستيقظت راية وذهبت للمطبخ لتحضر فنجان قهوة، تمسك هاتفها وتكتب رسالة نصية محتواها:

أرسلت له تعازيّ الحارة بوفاة والده وحاولت جاهدة أن أهون عليه شعوره وانا أعلم جيدًا أنني لن أستطع التخفيف عنه لأن فقدان الأب أشبه بقطع غصنٌ من شجرة كبيرة، وقتها شعرت أنني خسرته إلى النهاية.

بعد خمسة عشر يومًا من وفاة والده، أرسل لي رسالة يقول بها,

إلى عزيزتي وحبيبتي راية أما بعد

لا أعلم أن كنتِ بخير أم لا ولكنني أطلب من الرب أن تكوني كذلك لقد تأخرتُ بالرد عليكِ وهذا عِنادًا بكِ لأنني أحبكِ ولأنني خسرت أبي وأنتِ السبب، أنت من

قتله وعذبه حينما أخذتيني منهُ إليكِ، عندما كنتي تلهين في الدراسةِ وأنا غارقٌ بكِ وبإبتسامتك وعيناكِ العسليتان تلك، أنني أحبهما ولا أستطيع تمالك نفسي أمامك أصبح ضعيفٌ ولا أستطيع أن أحزنك أو أن اتخذ موقفًا منكِ، عندما حاولتي التسلل إلى قلبي حذرتك أنني سأحزنكِ كثيرًا لكنك كنتِ عظيمةٌ لأنك صنعتي مني رجلٌ يشتد به الظهر، من ذاك المتعجرف الشرير إلى الأميرُ سام اللطيف، لماذا أحببتك ولِم؟

هل تأخر الزمن علينا أم أننا سبقناه ولم نستطع خوض ذاك المارثون بالفوز بل مررنا به ومَرنا وخَسرنا أنفسنا مع ذاك الحب، بقيتي أنتِ وحيدتي، أنا سأرحل وأبتعد من هنا لأجلكِ كي لا تشعري بالحب أكثر سأبتعد وأذهب ولن أعود حتى أنساكِ سامحيني يا راية فأنني إن أحببت أعذب من أحب،ولن أستطع قهركِ واستبعادك لذا قررت الذهاب إلى روما المدينة التي أحببتها سأستعيد نفسي بذكرياتنا سويًا ولن أعود أرجوكِ سامحيني، عزيزك سام.

****

أنتهت رسالته وهي مليئةٌ بكلمات الشوق بالحرب الذي تغلب على الحب بكل مشاعر الأسى والوصب، لا أعلم أن سأنساه لكنني بالتأكيد سامحته منذ ذاك الوقت الطويل لأن قلبي يحبه، لم أحزن لكن شعور الحزن واليأس أنتابني قليلًا ولن أندم عليه لأنني أحببته وأعرف أننا لم نستمر أكثر حتمًا أننا لم نكن لنا ولن نكون معًا، وداعًا يا سام.

كنا قد قدمنا على العمل معًا في إحدى المجلات الشهيرة في إسطنبول وأخيرًا قد آتى الرد بالموافقة على عملي معهم وسأبدأ معهم من الغد سأحقق حلمي دونك كما وأننا معًا كنت دونك دائمًا، في لحظاتِ تخرجي من الجامعة لم تكون معي لكنني كنت معك وشاركتك اجمل لحظاتك لكنك حتى في تعاستي لم تشاركني، كانت جميع الفتيات تريده كان الشاب الفريد ذو الجمال المميز كشجر الورد أحبه الجميع وهو أحبني أشك في ذلك لكنني لا اشك بحبي له، لكنه آتاني متلهفًا راكضًا كالطفل يريد أن أحتضنه، قال لي ذات يوم أنه لن

يتخلى عن حبي وأنني الحنين، لم أجد وصفًا له تركني وذهب.

بعد عدة أيامٍ من الإنكسار والقلق ذهبت لأرى نفسي مجددًا لأقفَ مجددًا أمام حلمي الذي طالما أنتظرته كثيرًا سيتحقق دخلت إلى شركة عالمية مختصة بالأزياء رأيت مسؤول التوظيف هناك وإذ يقول لي أنكِ مساعدة هنا هذا عملك ابتداءًا من الغد! هذا ما كنت أنتظره حقًا، وبعد اليأس الذي أرتابني الآن ماذا سأفعل؟ هل أقبل بذاك العمل المتواضع وابدا من الصفر أم أنتظر عملًا آخر يليق بشهادتي، ذهبت للبحر وانا في عالمٍ مليئ بالخرافات والاحلام السيئة جلست أنظر اليه وكان يناظرني بحزنٍ مترأفاً على حالي وكأن كلٌ منا يشكي همه للأخر آه ماذا فعلتَ بي يا سام إلى أي حالٍ أوصلتني

نسيت نفسي أمام البحر وأسراره ومضت الساعات وأنا هنا أفكر وأجن وليس بيدي أيَّ حيلة، يبدوا أنني سأقبل بالعمل غدًا وسأبدأ من جديد مهما كلفني هذا الأمر سأنسى، أستيقظت صباحًا والشوارع امتلأت بالمطر

وأصبحت اسطنبول مليئة بالدموع التي اجتمعت طوال الصيف، شربت كوبًا من القهوة وجهزت نفسي واخذت شمسيتي ونزلت مسرعةً لأجد سيارة أجرة اشرت بأصبعي لسيارات الاجرة كانت ممتلئة بالرُكاب أنتظرت كثيرًا ولن تقف لي أي سيارة تأخرت على العمل في أول يوم لي يا حظي المسكين، اضطررت للذهابُ مشيً على الأقدام تبهدلت ملابسي كثيرًا ماكان علي إلا الدخولِ من البابِ الخلفي للشركة وتبديل ملابسي بسرعة قبل أن يلاحظ أحد وجودي ويراني بهذه الحالة المزرية رأيتُ خزانة العارضات هناك وذهبت لأرتدي شيئًا منها لكنها كانت مليئة بالملابس الجريئة بعض الشيء يومي من أوله سيء، سيءٌ جدًا أرتديت فستانٍ أسود اللون ذو كُم ٍ واحد وكان قصيرًا بعض الشي لكنه جميلً جدًا إنه على مقاسي تمامًا كم أبدو جميلة، وضعت القليل من أحمر الشفاه الذي كان يزين شفتاي كتيرًا، كم أنتِ جذابةٌ يا راية هيا أذهبي وأري نفسك للجميع، خرجت مسرعة إلى مكتب السكرتيرة لتريني أين سأعمل وأنا على عجلةٍ من أمري لم أكن أرى من

حولي إلا أنني أريد اللحاق وأريد هذا العمل بشدة، ماذا أفعل إن الذي أحبه هجرني، وسأثبت نفسي وأتميز سأعلو كالنجوم، سأنساك وأحب نفسي كما أحببتك، جرت المقابلة بسرعة وتوظفت في قسم الإعلانات كان من السهل علي اجتياز اختبارات المتدربين بالعمل لأنني تخرجت بإمتياز وتفوقت على سام بدرجتين، لقد كان سام الأول على الدفعة في أربعِ سنواتٍ كان مجتهدًا في دراسته أكثر من أهتمامه لي أو لمشاعري حتى، كنت أنا وزميلان في نفس المكتب نعمل على تدقيق الإعلانات وطباعتها ونشرها وكتابتها نوزع العمل علينا لننجز أكثر، مرت تلك الايام بسرعة كبيرة وبدأت بالتعود على نسيانه أصبحت رئيسة القسم الذي أعمل به وطورت من نفسي كثيرًا، عملت على نفسي وتعبت من أجلي وها أنا حققت دونك كل شيء، وبقيت أنت بعيدٌ دون أن أراك

**********..

السادس من مارس وأنا مازلت وحيدة مرت ثلاثُ سنواتٍ إلى الآن وأنا أبحث عنك ولن أجدك أيعقل أن الأرض أبتلعتك وأصبحت من زوارها الدائمين؟

بعد أن فقدتُ صَوتك وانقطعت تلك الأخبار التي كانت بيننا من الأن لن أشتاق لك ولن تشتاقُ لي، انتهت المشاعر وذَبُلت رَوحي

خَسارةٌ بِك أحزاني وهمومي، إبتعد لا أُريدُكَ بدُنيايّ يكفي أنك تركت الندوب وذهبت، لا تعود أرجوك، إنك أسوأ من عرفت بل أسوأ من تمنيت أن يبقى بجانبي، كان هذا الحوار الذي بيني وبين عقلي حين غادرت عملي متجهةً الى بيتي ولكن عقلي ليس معي كنت أمشي وأتحدث مع نفسي وكأنني لست بوعي صدمتني سيارةٌ وهذا آخر شيءٍ اذكره...!

أستيقظتُ وكان صوت الأجهزة العالقة بصدري مزعجًا للغاية بحثتُ يمينًا ويسارًا بعيناي عن أحدٍ بجانبي كررت هذا أكثر من مرة لم أجد أحد، وإذ بصوت يأتي من الخارج كان أحدهم يقول المريضة أستيقظت، من المريضة تلك وأين أنا؟ من أنا وماهذا المكان؟

أنني أراهم جميعهم لكن لا أعرف احدهم دوامةٌ من التفكير تاخذ عقلي ما الذي حدث أغمضتُ عيناي محاولةٌ أن أعيد النظر إلى ذاكرتي قليلًا لكي أعرف من أنا، المنظر الذي لا يفارقني ابدًا تلك السيارة التي دهستني وبعدها لاشيء... آتت الممرضة وقالت: (الحمدلله على سلامتك آنسه راية) نظرتُ اليها مبحلقةٌ ووجهي مليءٌ بالتعجب !...

ِراية من راية ... آه هذه أنا إذ

عفوًا لكنني لا أذكر شيء من أحضرني إلى هُنا ومن أنا لا أذكر أي شيء، ذهبت الممرضة لتحضر الطبيب ومرت الساعات ولم تأتِ قررت أن أذهب وأبحث عن أي أحدٍ يُساعِدُني، جلست بروية ووضعت قدماي على الأرض حاولت الوقوف مرةً ولم أستطيع وضعت يداي على السرير وضغطت عليهم لأسند نفسي بهم وأحاول مجددًا ولم أستطع، تبًا، بدأُت بالصراخ

من هناك؟

يا ممرضة, ايها طبيب.... هل تسمعونني؟

دقائق معدودات وآتى ثلاث اطباء، منتهى الذل
ان احاول ولا استطيع
التوقف عن حبك بالرغم من انني لا أتذكرك لكن قلبي
يروي لي شيء من هذا القبيل أنني أحبُ أحدًا
ولن افقده.
كما فقدت معرفتي بنفسي هل هذا القلب الغليظ أم أن
حبي وفيٌّ الى هذا الحد...

قال أحد الأطباء المشرفين على علاجي أنني أعاني
من فقدانٍ حاد للذاكرة وسأستغرق أعوامًا حتى أُشفى
تمامًا من مرضي هذا، ضحكت وقلت أن قلبي مازال
يحبه كيف تقول أن مرضي خطير

****

في السرير المقابل لسريري كان هناك شابٌ وسيم جدًا
نائمٌ كالأطفال ياترى ماهو وضعه ولما هو هنا؟

خرجت من الغرفة لأجد تلك الممرضة التي تقوم
بزيارتنا للأطمئنان عن حالتنا وتذهب، سأسئلها من

ذاك الوسيم ومن تلك التي يهدس بأسمها من هي(سالي) التي تأخذ جوف عقله وهو نائم هل هي حبيبته أم طفلته كما قالت الممرضة؟

تجولت قليلًا بحديقة المشفى واستنشقتُ بعض الهواء النقي وشردت به، كانت نسمات الهواء تداعب شعري وظننتها يداه إبتسمت لولهة وكانت عيناي مغلقة تتذكر تلك التفاصيل الصغيرة التي جمعتني به وكأنني لا أُعاني من أي مرض، فربما يخيل لي آمر مرضي أو أن الأطباء مهوسين بعدوة الفقدان ويعتقدون أنني قد فقدت أحدهم ويحاولون التخفيف عني، ليس بهذه السهولة فالطيور المهاجرة جميلةٌ جدًا ياترى إلى أي بلادٍ ستهاجر هذه المرة وهل ستعود؟ ياسام!

أتت الممرضة وشاهدتني وهي تقترب مني كنت أسمع خطواتها وهي تأتي، قطعت صفاء ذهني وشرود قلبي قائلة: عذرًا آنستي سنصعد إلى الغرفة لكي لا تبردي الآن، نظرت لها بعدوانية لدقائق معدودات وتهيأ لي أن أقتلها ثم قُمت وذهبت معها لأرى من ذاك الوسيم الذي يشاركني بالغرفة، صعدت إلى الغرفة ولم آره على

السرير نظرت في الحمام وإذ أنه فاقدٌ لوعيه مرميٌ عالأرض حاولت إيقاظه ولم يستفيق ناديت على الممرضات ليأتوا الي بسرعة ويأخذوه على حمالةٍ بيضاء إلى غرفة الإنعاش، وبحركة سريعة لم أُلاحظُها أمسكَ بيدي وقال: سالي لا تتركيني أرجوكِ، وأخذوه بعيدًا.

بعد عدةِ أيامٍ ...

لم أتركه وحده، دارت الشكوك في ذهني كثيرًا من هي سالي وماسبب تعلقهُ بها، أيحبها لهذا الحد، إنه مهووسٌ بها، تسللت إلى غرفته التي وضعه بها لمراقبه حالته الصحية لأراه وأطمئن عليه، أحسسته مثلي، لماذا أهتم لأمره، نظرتُ إليه بشفقة وتسألت من أنت وماذا تُعاني، وضعت يدي على شعره لأنني شعرت أنه بحاجة الى هذا، وشردتُ بعيدًا أتذكر سام، كيف كان ينسى تفاصيلي البسيطة،آتت الممرضة مسرعةً على صوت تلك الأجهزة المعلقة به وتقول أنَّ نبضات قلبه تتحسن هل تعرفين المريض؟ تركت يداه وذهبت مسرعةً إلى غرفتي واغلقت الباب كان قلبي يدق بسرعة الألف

ريختر وضعت رأسي عالوسادة وغفيت لم أشعر بشيء...

كان ضوء الشمس قوي إلا أنه ايقظني من حلمي الذي نسيته فورًا دقائقٌ وانا اتأمل منظر السماء وأحاول أن ابقيَّ عيناي مفتوحتان بوجه الشمس، سمعته يقول واخيرًا استيقظت الأميرة أهلًا بكِ، إبتسمتُ بخجل ورددت عليه آهلًا بك، تحدثنا ساعاتٍ كثيرة ومرت تلك الساعات وتحولت الى عشرة أيام اصبحنا كالأصدقاء تقريبًا، كان يتعالج علاجًا فيزيائيًا وأنا كنت قد فقدت ذاكرتي ولا أعرف إلى أين أذهب، فظللت بالمشفى لأنني أشكل خطرً على حياتي، ادركت من الآن أن القدر جمعني مع هذا الشاب ليعوضني عن سام، تقربنا من بعضنا بروية محاولين نسيان ماقد فشلنا به ولِما تعرضنا للخيبة بهذه الطريقة لما نحن، هل القدر أختارنا لنكن سويًا بعد الآن، عزيز شابٌ لطيف ووسيم، يعمل مديرٌ للعلاقات العامة في إحدى شركات الأزياء العالمية، ذو هيبة كبيرة وعيونٌ أجمل، عيناه جميلتان، بعد علاقتي التي فشلت أظن أنني لن أخوض أيَّ علاقةً أخرى لأن قلبي لا يحتمل المزيد، أنا أنسانة صريحة

حساسة وصديقة جيدة، لما كل هذه الخيبات المتتالية، سأخرج غدًا من المشفى أنا و عزيز واتفقنا ان نعمل سويًا بالرغم من صداقتنا القليلة إلا أن قلوبنا تألفت مع بعضها البعض واصبحنا ثنائي جميل، بدأنا نعرف بعضنا اكثر وتعلقنا دون أن نعرف حتى أن يدانا بدأت تتشابكان عندما نخرج سويًا في نزهة ما أو عشاء عمل فأنا كنت مساعدة عزيز الشخصية لهذا ترابطت افكارنا بسرعة واندمجنا، لكننا لن ننساهم يومًا كنا نتماسك في النهار ونبدأ البكاء في الليل الشيء الذي جمعني بعزيز هو خيبتي بسام وتعلقي الشديد به وهذا ما سيجعلني أظل معه للأبد، لأنني أعوض غياب سام به وهو كذلك كانت مشاعرنا مشتركة وكل منا يريد أن يكون الأخر بحياته على هيئة الثاني، نوهم أنفسنا لنستطيع العيش فلا خيبةٌ بعد الأن تستطيع تفريقنا لانها هي من جمعتنا.

****

بدأ الربيع في الواحد والعشرين من مارس لسنة الثانية، كان الجمال يملىء الأرض والاشجار تُثمر بكل مكان العصافير تصحو من السُبات والسماء تميل للزرقة وأخيرًا هاقد آتي للربيع ولم يأتي هو مَر على غيابه

الكثير لكننه في قلبي دومًا، أذكر ايضًا انه رن جرس المنزل باكرًا ذاك اليوم لن آنساه لانه بعد غياب كانت رسالته على الباب رسالة من سام، نظرتُ اليها كثيرًا حائرة هل يذكرني، ماذا تحتوي، هل تلك الحروف ستعيدنا الى علاقتنا اليائسة؟ فكرت طويلًا بمحتوى تلك الرسالة بعد ثلاث ساعة من التفكير قررت أن اتمالك نفسي وأقرءها...

راية عزيزتي...

أتمنى لكِ دوام الصحة والعافية، وان شاء الله أنكِ بخير

أرجوكِ أُعذُريني ان تأخرت عليكِ مرت تلك السنوات مسرعة على فراقنا وأنا اليوم أفضل بكثير مما كنت عليه، زوجتي جميلةٌ بعض الشيء أنتظر مولدي الأول، عقدتُ قِراني عليها في اول سنةٍ ذهبت فيها إلى روما، آه أن روما تزداد جمالًا يومًا بعد يوم، الفتاة التي تزوجت بها من هُنا تقابلت معها في الحانه فور وصولي هنا، الجو غائمٌ دومًا والشمس لا تشرق ابدًا، أنيري علينا لكي نبتهج قليلًا، انني أبرد دومًا، أتمنى أن ادفئ لو لحظة، سيكون ابني جميلٌ جدًا كأبيه، أنا اكرهُك كثيرًا، وداعًا يا حبيبتي الوحيدة.

لا أعلم لِما هذه الرسالة أشعرتني بالإرتياح والسعادة التي ملئت قلبي فجأة ربما لأنه مازلت في عقله إلى الآن وأنه كان يحبني ولن ينساني، اغلقت الرسالة ووضعتها بالدرج وذهبت لُأبدل ملابسي وخرجت لأرى عزيز، كان ينتظرني بسيارته الحمراء أمام المنزل ركبت السيارة معه وأنا أبتسم كل دقيقة، نظر إلي بخفية وقال: ما كُل السعادةِ هذه، سعيدةٌ دوني ماشاء الله هيا قولي مابكِ يا ابنتي!

ضَحكت وقلت له: ابنتك! نعم يا أبي أنني أشعر براحةٍ تجعلني مليئة بالسعادة لقد وصلتني رسالة من سام، قال أنه يكرهني تخيل!

صمتنا كِلانا وفجأة بدأ عزيز بالضحك بطريقةٍ مجنونة وقال لسائق أ...ر...ج..و..ك ت..و..ق..ف، تعلثم بالكلام ولن يكمل حديثه توقفنا بجانب البحر(على الساحل) وإذ أنه سيغمى عليه من الضحك قلت له: بربك عزيز ما الذي يجعلك تضحكُ بما يتعلق بالموضوع، أنك تزعجني حقًا، ما أبشعك!

كنت أعلم أنه سيتوقف عن الضحك حينما اصفه بالبَشع ههه ما أخبثني، نظر إلي بغضب ورفع حاجبه وقال

وأنتِ ما أجملُكِ، ضحكت بخجل وإذ إنه قاطع لحظة إفتخاري بجمالي وقال: ما أجملكِ ايتها القطة، انظري اليها انها جميلةٌ جدًا!

قلت له: نعم جميلة جدًا، لمِا كنت تضحك الآن أجبني ونظرتُ له بغضب انك مستفزٌ حقًا، متعجرف ومغرور وسيء، قاطعني وقال توقفي ...توقفي قليلًا سأقول لكِ ما الذي أضحكني لكن لا تنزعجني كنت أريد أن آراك سعيدةٌ فقط... أنا من بعث تلك الرسالةِ لكِ لم أنوي على إزعاجكِ صدقيني لكنني وددت رؤيتك سعيدة، ولأثبت لكِ أنكِ ستتخطينه ولن تبكي لأجله مجددًا حقاً اعتذر، نظرتُ إليه وهو يعتذر أملت برأسي الى كتفي وقلت له: من أي كوكبٍ أنت، نظر بتعحب واندهاش! أنك افضل صديقٍ حقًا واقتربت منه ووضعت يدي على كتفه ووصفته بالشجاع والنبيل كان أروع صديقٍ لي، ذهبت إلى السيارة وجلست أنظر إليه مازال مندهشًا فتحت النافذة وندهت إليه (هيا يا شجاع لنذهب، لقد تأخرنا هيا يا شريكي) وآتى مسرعًا وكانت وجنتاه تتلون من الخجل، وصلنا إلى الشركة وتجهزنا للإجتماع وآتى الوفد الفرنسي وبدأنا الاجتماع كان عزيز صامتٌ طِوال

الوقت لم يتفوه بكلمة واحدة، إدعيت انه متعبٌ قليلًا لكي لا نُفضح وتمت الصفقة بيننا وبينهم على خير، كان أول عملٍ أترأسه أنا لذا توترت يومها كثيرًا، آنتهى الاجتماع ومازال عزيز جالسًا وكأنه بلا روح ماعاذ الله، اقتربت منه وانا أناديه عزيز يا مجنون عز...يز انتفض فجأة (بسم الله ما بك أرعبتني يا رَجُل) لماذا لا تتكلم ما الذي أصابك مابك؟ انغمرت عليه بسؤالٍ تلو الأخر اقترب مني ووضع يده على فمي ليصمتني قائلًا: كم مذياعٍ تبتلعين أصمتي قليلًا أصمتي أرجوكِ، مسكت يده وانزلتها وقلت له قل لي مابك لأصمت، قال: إنني جائعٌ لم أكل من مدة هل تتناولين معي طعام الغداء؟... كان أول موعدٍ بيننا بعد ما شعرت أن قلبي يخفق بشدةٍ وأنا بقربهِ، نظرتُ إليه وقلت: هل هذه دعوةٌ للغداء وابتسمت وقلت وأنا جائعةٌ جدًا... هيا لنذهب... قلناها سويًا وضحكنا وذهبنا ونحن سعيدان جدًا كانت السعادة تغمرنا بالحب المنتظر، قاطع سعادتنا تلك الهاتف الذي رن ودخل إلى سعادتنا وافسدها، رن هاتف عزيز وارتبك وظهرت عليه علامات التوتر عندما سألته من على الهاتف؟ أجب عليه؟ هل من العمل؟

وضع يده على جبينه وبدأ يتحسسه وكأنه خائفٌ من شيء، امسك هاتفه وذهب ليتكلم بعيدًا عني كنت أعتقد انها امرأة لِأنه لم يتكلم أمامي أو أنه خجل أن يتحدث معها وأنا هنا، كان يتحدث بعصبية وقلق اغلق الهاتف وآتى مسرعًا الي وأعتذر وقال أنه يمكننا أن نخرج مرةً أخرى وأنّ عليه الذهاب بسرعة، وذهب.

في الصباح التالي لم يأتِ ليأخذني كعادته، قلقت عليه ولم يجب على اتصالتي له ابدًا، احتسيت كأسًا من الشاي الاحمر المخمر وبدلت ملابسي وذهبت الى العمل ولم أجده ايضًا، اعتقدت في ذاك اليوم أنه ذهب ولم يعد كغيره، التفت إلى المكتب وكان مكدسٌ بالأوراق والملفات التي تحتاج إلى توقيع القيتُ نظرة عليهم واحدٌ تلو الأخر، أذكر أن الأوراق التي كانت سببٍ في معرفتي لغياب عزيز في اخر ملف، كُتِب على تلك الاوراق اسم(سالي عزيز) وكانت مرفقة من قبل المشفى الذي كُنا فيه

أيعقل أن سالي أبنة عزيز؟! لما لم يخبرني بأبنته ولما لم يقل لي أنها مصابةٌ بذاك المرض(السرطان)، آه يا عزيز!

حاولت الوصل اليه مجددًا لكنه لم يُجب على الهاتف ايضًا فكرتُ بيني وبين نفسي أن أذهب الى بيته وأطمئن عليه وعلى سالي ابنته، اووه أصبحَ الوقتُ متأخرًا الآن مر الوقت دون أن اشعر به سأذهب لمنزلي الآن وآراه غدًا حتمًا سآراه.

لم أنم طوال الليل وانا أفكره بعزيز وما الذي يخبئه عني ؟ومن تلك سالي! أيعقل أنها ابنته

لِما لم يخبرني عنها! ايثق بي...؟ ما الذي يحدث لم افهم شيء ظلت دوامات التفكير تأخذني من مكانٍ إلى آخر، أريد الإطمئنانِ عليه فحسب، من التي تكلمت معه على الهاتف البارحة وكان يصرخ عليها هل حبيبته أم انها صديقةٌ غيري

الشمس واشعتها الساطعة، إنها شمس الربيع ورائحته الخلابة، وأنا انتظرها منذ الليلة السابقة كي تأتي وأذهب أنا، خرجت على عجلةٍ من آمري ونسيت هاتفي في المنزل ذهبت لبيت عزيز على أمل أن يكون بخير، أذكر أنها كانت المرة الأولى التي آتي إليها الى منزله منذ ان تعارفنا كنا نلتقي في بيتي او بإحدى الحدائق العامة، بيته ذو طِرازٍ قديم وايضًا كان هناك كلبٌ ضخمٌ

جدًا سواده كالليل إنه مخيفٌ جدًا، والمُخيف بالأمر أنه بدأ بالنُباح عندما رآني، تبًا له، مزعج...طرقت الباب حوالي الأربع مرات ولم يجب أحد، لففت حول المنزل ونظرت من النافذة إلى الداخل ولم أرى أحدًا لا عزيز ولا أي أحدٍ غيره، كان الحائط مليءٌ بالصور، حاولت أستراق النظر إلى تلك الصور لأعرف أسراره المخبأه ؟واذ بصوتٍ من خلفي يقول: ماذا تفعلين هنا يا مشاكسة

(أووووه ماذا عزيز أين أنت! لقد قلقت عليك، أزعجتني، اوه اقصد أرعبتني ماذا تفعلُ من خلفي، أخفتني من أنت ماهذا)!

لم أجده إلى مغشيًا عليه من الضحك قائلًا: هدئي من روعك يا مجنونة مابكِ انا عزيز وهذا منزلي وهذه ؟نافذتي ما الغريب

أنتِ ماذا تفعلين هُنا ولِما تتلصصين كالأطفال نَظرت ؟اليه ببراءة وقلت: قلقت عليك يا رجل! أين أنت

لِما لا تجيب على هاتفك..قاطعني مسرعًا آه هاتفي لقد نسيته في المشفى، أكملت حديثي ومن سالي تلك أهي أبنتك؟ أين هي لا آراها..قاطعني مجددًا(أبنتي، سالي ابنتي ووحدتي وقرة عيني) سأشرح لكِ كل شيء لنذهب

من هنا الآن، سأخذك عند سالي لتتعرفي اليها ونحن في الطريق سأقول لكِ كل شيء اهدئي وتعالي معي، أمسك يدي وجررني خلفه كالطفلة احمق لايعرف كيف يتصرف بلباقة، وانا كالبلهاء لحقته، لكن لما لم ندخل إلى منزله!

جلسنا بالسيارة وبدأ بالحديث قائلًا: استمعي الي ولا تقاطعينني ابدًا اتفقنا...هززت برأسي وقلت له: اتفقنا هيا تحدث...

سالي تلك الفتاة الجميلة، كانت أجمل من رأيت فتاةٌ كالشمس والقمر تشرقُ هنا لِتُنير هناك، جميلةٌ جدًا لو أنها لم تذهب وتتركني وحدي، احبتني بجنون، هي من بدأت بِحُبي كانت تُحضر لي كل يوم قهوةٌ عربية وتقول صباح الخير، درسنا معًا بالجامعة كان صوتها جميل كالبلبل عندما تُغني، لقد أسرتني من أول كلمةٍ قالتها وهي تغني لفيروز(كيفك أنت، ملا أنت) وبأخر أغانيها كانت تقول (كيفك ياعزيزي) كانت تحاول لفت أنظاري وتشتت قلبي دومًا، أحببتها ولن أظهر لها هذا بالبداية ولكنني أستسلمت لها ولصوتها ولعيناها، إنها شمسي وقمري الغائبان، أتدرين أنها تُشبهكِ كثيرًا، هههه

تزوجنا بعد حبٍ دام أربع سنين عِشتُ معها كالطفل لا أريد سِواها كانت أمي التي لم آراها وأبي الذي هو قدوتي وحبيبتي الشمس وطفلتي القمر، ونجمتي.

بدأ عزيز بالبكاء ولوم نفسه

وقال: لم آنسى ذاك اليوم إلى الآن كان كاليتيم دونها، حبه لها كان أكبر من أي شيء سبعُ سنين مضت وهو على ذكراها ياه لو أن سام مثله كم كنت سأبدو سعيدة وبكيتُ بحرقة...احتضنني بقوة وأكمل وهو يبكي: لم تكن بصحةٍ جيدة أنا من قتلتها كنت أريد ذاك الطفل بشدةَ وتمسكت برأي عندما عرفت أن الطفل الذي تحمله بين أحشائها فتاةٌ لم تسعني السماء وقتها ولم أجعلها تُكمل حديثها كانت ستخبرني أنا متأكد لعنة الله عليّ أنا المذنب، كانت تعاني من قلبها دومًا أذكر أنها قالت لي: أنها أعطت نص قلبها لأختها التوأم لكنها ماتت ولم تراها افترقا منذ الصغر، وعندما انجبت وأعطتني سالي الصغيرة أخذها الله ولن تعود...بدأ يتكلم بصعوبة وانا لم احتمل المزيد من الألم لقد عاش ماضٍ أسوء مما عِشت أنا أي قوةٍ يملك هذا الرجل، ياله من شجاع...نام وهو يتحدث الي كالطفل رفعت يدي مترددة

وراجفة...وسحبتها فجأة، فتحت النافذة وأخذتُ شهيقًا وشردت بما قاله لي لم أريد ازعاجه انه متعبٌ جدًا، تأملته كان يشبه الأطفال فعلًا كما قالت سالي، رموشه طويلة وشعره كالحرير وأخيرًا لمست شعره كان ملمسه كالحرير غفيت وأنا أنظر اليه مبتسمة.

حتى أستيقظنا على صوت السائق وهو يقول سيدي لقد وصلنا، ردة فعله لعزيز كانت غريبة جدًا وكأن همًا وقد أيقظه قال وقتها : هل وصلنا حقًا أشعر أن قلبي يؤلمني كما أنني سأفقد نفسي ما الذي سيحصل الآن، طمئنته أننا بخير وستكون أبنته بحالة جيدة ان شاء الله ونزلنا على المشفى لرؤية (سالي عزيز) كانت كالملائكة جمالها لا يقاوم، عزيز كان ينظر عليها بحزنٍ لا يوصف عيناه امتلأت بالدموع وبكى حتى ماتت الدموع حزنًا عليه، عظم الله آجرك لقدت ماتت، هذا الصوت آتى من الخلف حتى بِتنا لا نصدق أن هذا الصوت حقيقي أم لا، من ماتت! ماذا؟

وخَر عزيز ساجدًا يبكي على خسارته الثانية، كم عزت علي هذه اللحظة وكأن قلبي تكسر مئة مرة في لحظةٍ واحدة، لم أصدق ماسمعت لكن كل من حولي كان

صادق لدرجة الثقة، عزيز بكى أربع ساعاتٍ متواصلة دون توقف، عزيز مات مرةٍ ثانية، كيف سأعيد له الحياة؟ لم يَكُن بوعيه، جسدٌ بلا روح.

وكأنه كانت تلك الراحة التي عشناها ستكون آخر راحةٍ له، كيف يصدق حلمه؟ لقد تحقق!

هل نستحق هذا العناء، ماذا فعلنا ليكون هذا الاختبار صعبٌ لهذه الدرجة؟ لقد تعبنا بل انهلك التعب منا!

أعلنا مراسم الجنازة في يوم الحادي عشر من ذاك الشهر، السماء تمطر بالربيع وكأن حزن عزيز وحده لا يكفي فالدنيا حزينةٌ ايضًا، تماسك عزيز بي بقوة وكأنه جائع وكأنني فريسته.

****

تعلمنا على السير معًا في حلو هذه الحياةِ ومرها أن نكون سندًا في ظل كل الظروف التي عشناها كم كان جميل لو أنني أعرفه من قبل انه رجلٌ لا يقدر بثمن ومن كعزيز... ذهب عقلي دون أذنٍ وعلى غفلةٍ مني يفكر بسام عقلي مازال يحبه وقلبي أيضًا يحبه قليلًا ...حين قلت له أنني

أتعلق به كل يومٍ أكثر من قبل كان يغضب وكأنني اقول له أنني أكرهه أي مشاعرٍ تلك،

(؟(كم كان جميلٌ لو بقينا أصدقاء

كانت تلك الجملة في عقلي ولم تفارقني ابدًا، وكيف لي أن انساها وهي كلمة سام المعتادة كان ينتهز كل فرصةٍ ليقول لي (كم كان جميلٌ لو بقينا أصدقاء)!

لنبقى أصدقاء ونحترم بعضنا البعض، لننسى ذاك الانكسار والوجع، لنحيا بمشاعرٍ زائفة بعيدًا عنك وعني، لنكن أخرين وليس نحن، فكنا نحن ولم نحب ذلك، فأين أنت الآن لقد مضى على غيابك ما يقارب الأربعة عشر عام، كم هو جميل لو لم أحبكَ واتعلق بك لهذا الحد، لو لم أتعرف عليك، لو أن قلبي ينساك لو انني وأنك... ومازلتُ ضائعةٌ دونك.

بعدِ اِنتهاء مراسم الجنازة ذهبنا أنا وعزيز لمنزله، كانت تلك المرة الأولى التي اذهب بها وادخل بيته، المنزل حزين...حزينٌ جدًا والستائر مغلقة والإضاءة خافتة، وكأنه مهجورٌ كقلبه وأنا متعجبةٌ لأمره! عزيز بلمح البصر أختفى من جانبي أين ذهب ولِمَ أصر على مجيئي معه

على غير عادته كان يرفض دومًا أن آتي إلى هنا ما الذي تغير الآن، هل لموت أبنته علاقة في ذلك؟

ظلت الأسئلة ترافقني ظلت الأيام السابقة ستظل تلاحقني، ولعنة الله على لعنة التفكير التي لن تفارقني نهائيًا، فتحت الستائر والنوافذ لتهوئة المنزل، الغبار في كل مكان (اووه ماهذا)!

نحن كنساء نعتبر الغُبار كالرجل المضر للصحة، مهوسون بالنظافة لا نستطيع العيش ببيئة كهذه، شمرت عن ساعداي وأحضرت دلوًا وبدئت بالتنظيف، نظفت غرفة المعيشة والمطبخ رتبت الأوراق على المكتب ولم يستغرق كل هذا الوقت إلا ثلاث ساعاتٍ فقط(تبًا لك يا عزيز، ما كل هذا)...عزيز أين أنت، عز..يز

صعدت إلى الطابق العلوي لأنظر اليه، عزيز نائمٌ ويحتضن كتابٍ مليءٌ بالصور، اقتربت منه بخفة قليلًا لأسترق النظر إليه أولاً وإلى ذاك الألبوم، رموشه طويلة مذهل، امسكت باللحاف ووضعته عليه، وسحبت منه الكتاب الذي بيده واغلقت الباب ونزلت، حضرت (الاومليت والقليل من الخيار والبندورة وخمرت الشاي، وحمصت الخبز) فتحت المذياع وبدأت استمع للأخبار

واتصفح ذاك الكتاب الذي كان عنوانه(سالي) كُتب عليه هذا الاسم بقصاصةٍ ورقية ...كان مليءٌ بصور عزيز وابنته من أول يومٍ لولادتها حتى اخر أيامها.

مرت السنين وإلى الآن لم يعود، ايعتقد أنني لم أنتظره!

لم أنتظر عزيز حتى يستيقظ حتى تركت له ورقة كتبت عليها

صباح الخير يا عزيزي، تناول طعامك على مهل لأنه (صُنع بِحبٍ من أجلك، اتمنى أن يعجبك) أتمنى أن تكون بحالٍ أفضل، لاتنسى دوائك بعد الأكل ولا تنساني أنني أنتظرك، لا تتأخر أرجوك، واغلقت الباب ورائها وذهبت.

اعتقد أنني لم أنساه ابدًا وسيظل كالشبح في حياتي، يأتي ويذهب متى أراد، بالرغم من تعلقي وحبي لصديقي عزيز ؟إلا أنني مازلت أنتظر عودة سام، هل يستحق وفائي له

أم أنه كغيره نرجسي لا يهتم لأمري كعادته علقني به ولم يعود، مالذي حدث بيننا لنصل إلى هنا، هل صدفتي بعزيز لها علاقةً بحبي الكبير لسام، لكن عزيز رجلٌ ليس كغيره فهو يهتم لأمري ويحبني ويجعلُني أبتسم دومًا، إنه يحب أبتسامتي تلك، كما أنني أحبه لكنني لن أنسى سام!

تناقضٌ يجعلني كالمرضى النفسين من أنا ولما اشعر وكأنني في حيرة أو دوامةٍ وليس حياة، أشبه بالخراب الذي استعمر قلبي وبداخل هذا الخراب، طائر السلام الذي سينقذني من تلك الحرب التي أعيشها في داخلي، فكرت كثيرًا احسست أن رأسي سينفجر تناولت مهدئًا لإرتاح قليلاً وضعت رأسي على الوسادة الى أن غفيت ولم أستيقظ ليومين متتالين من شدة الهلع والتوتر الذي أتعايشه إلى الآن، وحتى أن الأحلام لم تفارقني.

مر يومين ولم يظهر عزيز ابدًا حتى لم يجب على رسائلي الكثيرة، ياتُرى أين هو؟ هل أذهب لأراه في المنزل، سأذهب بحجة أنني افتقده وأشتقت له كثيرًا، أم سأتحجج بالعمل؟

هل أعترف له بحبي؟ هاقد عُدت مجددًا لتلك الدوامة سأرسل له رسالة لكي لا اواجهه وسأسئله عن سبب أختفائه بالرغم من أنني أعرف أنه مازال مصدومًا لما حصل كتبت بتلك الرسالة الى عزيزي .. عزيز

بعيدًا عن كل الحروب تلك ... وبعيدًا عنك أنت، وعن تلك الأحلام والايام وكل ماهو جميلًا بقربك، إلا أنني لا اشعر بالحنان إلا وأنت بقربي وكأنك شجرة وأحتمي بها في ظل

هذه الايام الصعبة التي لن تمر إلا وأنت بجانبي، كم مررنا بأيامٍ لا يعلم بها إلا انا وانت والله وحده يعلم أننا لن نستسلم ونحن معًا، أنت قوتي وشجاعتي وصديقي وحبيبي الجديد، إنني افتقدك!

كيف حالك الأن؟ هل مازلت بخير! أتحتاجني اتسمح لي بأن أكون قربك في هذه المحنة الصعبة؟ أجب على تلك الرسائل ارجوك وأشفي غليلي انني قلقةٌ بشأنك، أرجوك أجب... أنتهت تلك الرسالة بالبكاء على حالي لقد تعبت والتعب مَل من تعبي لم يعد يبالي احدًا لأمري حتى الذي أهتم اختفى ولا أعلم أين هو الأن، هل هذا الفقد والفراق سيستمر طويلًا؟ سأظل أعاني لأنني استحق هذا فأنا من أريدهم وهم لا يريدونني، افرض نفسي عليهم وكأنني بكتيريا متطفلة، أيجب علي الرحيل!

سأسعى دومًا لتحقيق الحب أينما ذهبت لأنني افتقده كثيرًا

حتى طوق النجاة الذي احتميت به اختفى لما كل هذا الأسى، لمتى سأظل أنتظر؟ هل سأعاني دومًا من قلة الحب وكثرة الأمل؟!...

المحاولة الأخيرة والفرصة الأخيرة سأراه لأخر مرةٍ إن لزِم الأمر وكان عذره أقوى من عِنادي سأظل وإذ لم أرى

أي شيء يثبت أنه يريدني سأذهب دون عودة حتمًا ستكون النهاية لا أحتمل المزيد من الألم بعد الآن، وماذا بعد سيحدث....

(حبيبي ندهلي قلي الشتا راح)

الساعة العاشرة صباحًا أنا أطرق الباب لعله يُجيب، طرقةٌ وطرقتان وبعد الثالثة...وأخيرًا لقد فُتح الباب وها أنا أمام عزيز وجهً لوجه، نظرنا لبعضنا خمسة عشر دقيقة دون كلام يذكر عينانا تبحلقان ببعضنا البعض وكأن كل لحظاتنا سويًا أُسترجعت جمال عيناه وكأن الجنة بداخلهما، إنني ضعيفة أمام العيون الجميلة، أنها نقطة ضعفي...

عزيز: تفضلي يا راية، انني أنتظرك منذ مدة، لم أجب على تلك الرسائل لأن كياني كان مرتبكًا بعض الشيء، تلك الرسائل زلزلت قلبي وقلبتِ حالي، فقد اعتقدت أنني سأظل بتلك الضفة ولولا وجودكِ بجانبي لما أنتقلت إلى ضفتك تلك، أمسك بيدي وأخذ بي إلى غرفة مظلمة التصقت به لخوفي من الظُلمة وقال وهو يتحسس شعري لاتخافي أنا هنا، اضاء الأنوار كانت الغرفة مليئة بالصور التي تجمعني أنا وهو لكنني لستُ أنا، او ربما كنت أنا

وكان حديث الأطباء أنني قد فقدت ذاكرتي صحيح، لكن لما لم يقل لي أن الماضي كان يجمعنا، املت رأسي لليسار بحيرةٍ من آمري وكانت علامات التعجب والاستغراب قد استحوذت علي، وما زلت صامتة من شدة الدهشة والغرابة مالذي يحصل؟ وأي ماضٍ هذا الذي جمعني به

بدأ عزيز بالتحدث عن ماضيه الذي جمعه بسالي وأننا نشبه بعضنا كثير، وأنه حين رأني بيوم الحادث أعتقد أنني سالي ومن شدة خوفه لم يرى واصطدم بي بسيارته، ثم قال أنه أحبني لكوني وليس لأنني أشبهها جدًا وكأنها أختي، ذكر القليل عن ماضي سالي بكونها تربت بملجأ هي واختها الاخرى وأنه آتت عائلتان وتبنتهما، وكأنه يحكي ماضٍ يخصني ايعقل أن سالي هي أختي! ياراباه مالذي يحدث. الاحداث تأتي وتذهب، ذُهني يعتصر ذكريات منذ الطفولة حتى هذا اليوم، عقلي بات مشوشًا، اخذت أفكر بكل كلمة يقولها عزيز وعلامات التعجب والحيرة كانت تملأ كل ركن في جسدي والعصافير تدور فوق رأسي ثم أنني لستُ هنا، بعد خمس ساعات أستيقظت.. عزيز أين أنت عزي... أنه يقف امامي بلمح البصر، اميرتي هل استيقظتِ فأنا أعتذر لكِ لما حصل

كان يجب أن امهد لك ماحدث على مهل، أنا أعتذر، قاطعته أنني حلمت بسالي وأنها قالت لي كل شيء هي توصيني بك الآن، قالت أنك رجلٌ شهم وجذاب، وأنها مازالت تحبك وستتمناك في الآخرة لكن ماذا عني! ستكون لي الآن أم ماذا؟ هل حقًا تحبني ؟ أم انك تخدع نفسك وتخدعني بنسيانك لها؟

عزيز ...اجبني مابك لا تتفوه بشيء، عزيز أنني أتكلم معك لما مازلت تطيل النظر إلي! أنني معجبٌ بكِ حد القلق وحد التعب، هل أحبكِ الآن هل تريدين الزواج مني هيا لنذهب ونتزوج، وأنا ما زِلتُ بصدمتي وصمتي ماالذي تعنيه بقولك هيا لنتزوج، أنا لا أريدك كزوج أنت صديقي المُقرب عَلام تقول هذا، أتعتقد أنني سأحل محل سالي؟! أتركني وشأني ياعزيز أترك يداي و دعك مني أرجوك، وذهبت وتركتُ قلبي معلقًا هناك أنني أحبه، لكن كبريائي لا يسمح لي أن يحبني وهو يعتقد أنني سالي!

وبدأت الذكريات تأخذني الى الماضي وقدماي تسير بي الى البحر الذي كان ومازال سري العميق، ماذا عن سام الذي مهما حاولت التخلص منه اتذكره اكثر، ماالذي يحدث أنني أحب عزيز ولكنني لن انسى سام أي حبٌ هذا،

وبعد نوبة التفكير التي أصابتني كالعادة وصلت رسالة نصية على هاتفي من عزيز وكانت تلك الرسالة هي كالإحتلال الذي أخذ قلبي ولم يعيده إلى الآن، وكان محتوى الرسالة كالآتي .. فأنا كتبت حبي لك فوق والقمر وعلى الشجر وتحت المطر وبكل زمنٍ قد مر، أحبك وسأظل أحبك تعالي سأراكِ وأحتضنك الآن اطفئي لهيبي وتعالِ الآن يا حبيبة السهر، أنا أنتظرك

فأن المشاعر تأسرنا بقلبٍ واحد لا ثانٍ له وكأن اللعنة تُصيبنا بالحب الآزلي لشخصٍ هاربٌ بمشاعره لأخر او مغلقٌ على قلبه بإحكام...هل أذهب الآن وينتهي كل شيء ونبدأ من جديد؟

هل ستنتهي شكوكي وحيرتي هذه ويرتاح قلبي وأخيرًا، واخرًا فأنا سأعود له انه صديقي الذي بحثت عنه طويلًا وسيكون رفيق الدرب وزوج المستقبل هذا ما كنت أريده الصداقة اولًا والحب ثانيًا...انه صديقي الأوحد والأقرب، ذهبت لألقاه بذاك اليوم لأنهي كل شيء فأما ان نستمر معًا او نعود غرباء كما كنا هذا اذ كُنا، طرقت الباب ثلاث مراتٍ... واذ بعزيز وكان الجو رومانسيٌ بعض الشيء شموع وورد ودموعي تنهمر قلبي يخفق بشدة وعقلي لا

يحتمل الأمر احسست ان النجوم والقمر حولي في كل مكان راية وعزيز والحب بينهما، بدأت ابتسم وكأن قلبي المقيد ب(سام) قد تحرر وأخيرًا، جلس على ركبتاه ومعه خاتم انحنى امامي وكأنني احدى بطلات الروايات التي كنا نتمنى ان نعيشها وها انا اعيش تلك اللحظة بتفاصيلها، اتذكر انه قال الكثير حينها كنت اسعد امرأة في ذاك الوقت، تزوجنا بعد شهرين من طلبه، شكلنا ثنائي رائع اينما ذهبنا (عصافير الحب قد آتو)، مرت الايام والاشهر والسنين والآن اصبحنا بالحاضر والماضي قد مضى وذهب ولم يعود لكن ذكرياتنا مازالت حيةٌ لا تموت.

****

في الحاضر...

أنجبت سام طفلي الأول كان كهديةٍ بالنسبةِ لي بعد كل ما تعرضت له لم أتوقع أن يأتِ وأخيرًا، إنتظرته أثنا عشر عامًا وتسعة أشهر لم اصدق انه في حضني الآن وأنه يشبهك كثيرًا لكنك لست بأبيه أنه (سام عزيز) كان الحب الذي جمعنا أنا وعزيز بعد إنكساراتٍ من حبٍ آخر، أحببنا بعضنا لنلملم تلك الكسور معًا خذلته حبيبته السابقة سالي وآتى يهتف بأسمها دومًا بإعتقاده أنني أشبهها كثيرًا شكلًا

وعقلًا،لا أظن أن كان يحبني أم يوهم نفسه بهذا لكنه يحتفظ برسالته الذي لم يرسلها لها إلى الآن قرأتها كل يوم لأتذكر خيبتي بسام كما خيبته بسالي وكأننا خُلقنا لنكسر ولا ننسى، جمعتنا الكسور ولن نفترق إلى الآن وبالرغم من علمه بأن أسم سام كان يكنى به رفيقي السابق لم يقل شي أحترم مشاعري وقدرها وقال لي: أي حبٍ هذا الذي لم نستطع نسيانه أكان حب أم خيبة أمل؟ لا أعرف لكنني متأكدٌ منكِ وأنكِ أوفى من كل شيء.

بعد انجابي لسام كان يجب علي تركه لعزيز والإبتعاد عنهم الاثنان، وإلا سيعشون وهم خائفون علي جدًا قررت أن أذهب وأنا أعاني وحدي دون أن اشعرهم بشيء، بعد تحاليل الولادة كانت النتيجة انني مصابه بالزهايمر بنسبة ثلاثون بالمئة، وأنني سأبدا بفقدان ذاكرتي مع الوقت اكثر ولا اريد ان يعاني احدهم بسببي فسأصبح كالذي يجهلهم وكأنني لا احتمل وجودهم بجانبي سأكرههم كثيرًا ويصبح مزاجي سيء وثم اسوء، سأذهب...! ولعن الله حُبك هذا ومرضي هذا وحظي.

سأقاوم لأُنهي حزني هذا وسأعود لكم، سأشفى تمامًا، الليل والنجوم وأنا ومرضي...

انظرُ الى طفلي ويحترق قلبي وآرى عزيز وتصيبني الحسرة عليه، هل سأفارقهم للأبد أم أنني سأعود وتعود سعادتنا مرة أخرى كتبت رسالة واعتقد أنها الاخيرة وضعت بجانبها وردة حمراء وقبلتان على جبين عزيز و سام،ذهبت وتركت قلبي هنا، عندما أستيقظ عزيز في الصباح ولم يجدني بجانبه امتلكه الحزن وهذا ما جعلني أكثر إحباطًا ويأس، كانت الرسالة على وسادتي، ظن انها رسالة حبٍ لان الوردة الحمراء دلالة على الحب، وكان إن بعض الظن أثم.

(كتبتُ له انا أحببتك لكنني لم اشعر بشعور الحب نفسه عندما أحببت سام، لحب سام شعورٌ مختلفًا وطعمًا اخر... سامحني سأذهب لأنني أحببتك وأخاف أن تذهب أنت الأخر وأموت وحدي وداعًا ياعزيزي)

لعله يعتقد أنني خائنة ويكرهني وينسى ايامًا أحبني فيها، ليكتفي بأبننا ويربيه على الحب والحب، عزيز اعتاد على خيبات الحياة المتكررة له، فظن أن الحياة وأخيرًا قد أحبته وأننا سنظل سويًا والى الأبد، كما أنني قلت له أن لا وجود للأبد في علاقتنا فإما سيموت إحدانا أو سنفترق وهذا ما حصل، ابتعدت عنه وسأموت وحدي.

****

إذهب ولا تتعرف على حبي ابدًا أنكروجودي بعيداً عنك،اذهب بعيداً لأنني لن أعود لأنني فضلتُ أن أحزن على أن أكسر قلبك يوما

****

ٍوبعد ثلاث ايامٍ من رحيلي ... استقريت في بيت قريب جدًا على بيتنا أنا وعزيز او بيت عزيز من الآن، لآراه كل يوم لأبكي علينا، وكنت أملأ وقتي بكتابة مذكراتِ يوميًا بلا ملل، ويمضي الوقت ويقترب موعود رحيلي وإلى الآبد

ماذا تعني لك هذه السنين كنا وقتٌ وانتهينا الأن، فأنا أنانيةٌ سأعشق نفسي وأبتعد لن أهتم لأمرك ولن أجعلك تعاني معي، لا أريد أن اخضع لأي علاج أنك حزين على غير العادة وتتصرف ببرود وعصبية حادة، هل تعتني بسام، كيف حالك الآن

اشتقت لك راية تكتب ويعود بها الامر للحظاتهم الجميلة . معًا

قررت راية حينها ان تبدأ بمراسلة عزيز وضعت عنوان بلدٍ

اخر، لتطمئن عليه وعلى سام، ولتعرف اخباره

تحدثت الى تفسها قائلة:

عزيز يا حبيبي، كيف حالك الآن، اعتذر لك كثيرًا

وأعرف ان اعتذاري لن يعيد كل شيء كما كان

أرجوك تقبل انني لم أعد بحياتك وان حياتك هذه كانت تعنيني كثيرًا لكن الحنين للماضي قد تغلب علي وغلبني، وجعلني اتخلى عنك وعن أبننا ارجوك اهتم به وبك.

مرت الكثير من الايام فكرت به كثيرًا وكانت حالتي تزداد سوءًا يومًا بعد يوم كانت تنتظر الموت وتفكر به لا اكثر، اصبح شكلي يسوء كما حالتي فكرت حينها لو انني اراقب عزيز من خلال بريده الالكتروني منذ مدة لم آراه خارجً من منزله ايعقل انه مريض؟! فتحت الهاتف المحمول لأراه نسيت انني انتمي لهذا العالم حتى تصفحت(الفيس

بوك) الخاص بعزيز رأيته يكتب الكثير من الرسائل التي تحمل عنوان إليك انتِ، قرأت القليل منها(واليوم شعرت للحظة انني فقدتك، شعرت بك تداعبين شعري بأطراف اصابعكِ، كنت هنا بجانبي، تسمعي ما اشكوا من حزنٍ يأكلني، حياتي دونكِ مثل الشاي المر لا نكهة له إلا بوجود النعنع الاخضر وأنتِ من تلونها لي ، ذهبتِ هناك بعيداً أنني لا أراكِ لا اسمعكِ، أشتقت لكِ).

بكت راية على حال عزيز كثيرًا اختالهاالتفكير للحظة ان تعلق له على ذاك المنشور الذي سحقها إلى الارض السابعة... وبلحظة انهيار وحزنٍ عارمان قررت مراسلته وبعثتُ له تلك الرسالة التي لم تتجرأ بوقتها أن ترسلها والآن أرسلتها له وانا متيقنة أنه لن يجيب فهو ذو مشاعر قاسية أيغفر لي؟

جلستُ أنتظر ان يرى الرسالة التي كانت كالسم بالنسبة لي، تجرعت من الإنتظار ما يكفي، ساعةٌ وساعتين...يوم وثلاث وستة ايام، وأخيرًا انه يرسل لي صورة لسام وهو يبتسم لم أستطع أن ابتعد أكثر، قلبي كان يعتصر من الألم، الدم جف في جسدي،أرسلت له... (أنظر من نافذةِ غرفة

المعيشة الى البناية التي أمامك بعد خمسة عشر دقيقة، امامك نافذة مفتوحة تأملها جيدة لعلك تراني)!

ذهبت لأضع بعضًا من المساحيق التجميلية على وجهي، لأحسن من حالي، أنني أضعف امامه وكل تلك الارادة التي اختلقتها خلال الاشهر السابقة تلاشت بل أختفت تمامًا بكلمةٍ منه، وقفت أمام النافذة ورأيته كان جميلٌ كعادته لم يتغير ابدًا، عندما رآني لم يصدق حتى انه فرك عيناه ليتأكد أنني لستُ خيال كما يعتقد، ابتسم قليلًا وضحك بفرحٍ كبير، ارسلت له انني أنتظرك تعال بسرعة، واترك سام للحاضنة لا تتأخر هيا، فأنا أحبك.

دقائق معدودات وآتى، قبل أن يطرق الباب كنت قد فتحته له نظر إلي بحزن وفرح بكينا مسك يدي واقترب مني قليلًا، غضب وابتعد، مسكته واحتضنته من الخلف بشدة تمسكت به وقلت له لا تتركني ارجوك، مسك بيداي بقوة وقال أنتِ من تركني وذهب أنتِ هجرتني، أنا أكره...كِ، قاطعته قائلة وانا أحبكَ. نظرنا إلى بعضنا بحب وقَبلَّ جبيني وآنتهى كل ما مررنا به في الأشهر السابقة، دخلنا لمنزلي وبدأت بشرح كل شيء له وأنني كنت أطمئن عليه هو وسام عن طريق العاملة التي ارسلتها له، وشرحت له

عن مرضي الذي غير مني كثيرًا، ونمت في حضنه بعمق وكأنني لم انم منذ زمن...لا اريد أن تعيش مع أخريات كما عِشت معي او كما أحببتني، فأنت لي وحدي لا أريد مشاركتك مع أحد، حاولت الابتعاد عنك لكنني تعلقت بك اكثر، فأنا انانية في حبي لك، حتى لو انفصالنا سأظل أحبك واتعلق بك اكثر لن أستطع دونك، اتركني ولا تتركتي أرجوك.

تأخذني أنانيتي وتعلقي بك لمطارحٍ لن افكر بها ابدًا، من الممكن أن اعشقك وبلحظة عقلانيةٍ واحدة اكرهك،هل هذا بسبب ما أنا به(مرضي)اكرهك لحظةٌ وأحبك لحظات، فاللحظات اكثر وأحب الي من تلك اللحظة التي تجعلني أشمئز منك! متى ستنتهي هذه المعاناة وأعود كما كنتُ بكل الأوقات أريدك، هل سأثق بِحُبنِا مجددًا؟

****

ومن منا يُحيّ الاخر

هل لي بنفسٍ منك؟ أرجوك لا تُقلق قلبي عليك أكثر... فأنت إبن قلبي، و وليفه.

****

بعد غيابي فترةً طويلة عن الكتابة، وانشغالي بتلك الحياة لن اتفوه بحرفٍ يجعلني أذكر كل ما مررت به إلى الآن لا أعلم كيف مرت تلك الايام مسرعةً حتى أن أبني سام سيبلغ اليوم العشرون ربيعًا، وكيف مات عزيز وبقيتُ وحدي دونه، أُظن أنني نحسًا على كل من أحبني أنا كالغراب أدفن كل من عانقني لا رحمةً في قلبي، فأنا أدمر كل شيء بنيته، فبداخلي ما يكفيني من ألم.

سام يا طفلي الوحيد، ارى بك عزيز ملامحك وكلامك وكأنك نسخة مصغرةٌ منه، كيف للأيام أن تمر مسرعةً وتأخذه مني!

أيَّ قسوة هذه التي تجعلني أتعاطى المهدئات كي اظل صامدةً ما هو الذنب الذي ارتكبته لأعاقب بهذا الشكل؟

(يمرني طيفه دومًا وأحادثه في كل ليلة حتى ابكي، مضت تلك الليالي وانا ابكي وابكي وبقيت هذه الذكريات كالنور لعيناي بعد ان فقدت نظري، قال لي عزيز بأن الوقت كفيلٌ لأعادة كل شيءٍ كما كان في السابق، فقط إنتظريني)

المضحك في الأمر أنني مازلت أنتظره إلى الآن ولن يأتي،...لا تأتي وأنا لا أستطيع رؤيتك ستحزن وتُشفق على حالي.

هل يا تُرى سام حبيبي الأول مازال موجودًا هل يفكر بي الآن خيبتي به مازالت كالوشم في روحي كلما ندهت لأبني يهيئ لي أنني سأراه مجددًا لمأ أحببته وأسميت أبني على أسمه وهل عزيز كان مجرد سد فراغ لأنسى سام، أم أنني خائنةٌ لن أوفي لعزيز أبدًا، سأبحث عنه حتى أجده سأخبره أن زوجي مات وأن أبني على إسمه، سأجعله يندم هو من سبب بموتي مرتين...

بحثت عنه مرارًا وتكرارًا تركت له رسائلٌ كثيرة لعله يقرأ إحداها حاولت البحث عن عنوانه للوصول اليه لكن دون جدوى، وسأظل أحاول حتى اراه، مرت الايام وكأنها سنين لم أدرك أنني كبرت بها كثيرًا هل هي سبب هذا الشيب أم موت عزيز وفقدانه السبب؟ أشتقت له كثيرًا، دخلت الى غرفته السرية التي كانت مليئة بالكتب والرسائل والمجلات القديمة، لأبدأ بتخيله معي هنا ونحتسي القهوة معًا أحادثه عن يومي ويتغزل بي آه يا عزيز أينك عني! لعلني أزور قبرك غدًا أنتظرني فالطقس

اليوم سيءٌ كثيرًا، ليس اليوم فحسب فمنذ ذاك اليوم الذي رحلتَ به وهو يزداد سوء وأنا ازداد حزنًا وألم، وأخذ عقلي يتذكر شقاوته وابتسامته التي كانت سببًا لحياةٍ أفضل لنا، مهما تعاركنا وساء حالنا كان يبتسم دومًا ويقول لي: أنتِ حبيبتي وأنا أسف! كانت تلك الكلمات تشفع له دومًا وكأنه يغضبني في الصباح ليغازلني في المساء، كان يَحنوّ علي دائمًا من قساوة هذه الحياة، وفي تلك اللحظة وعند توقفي عن تذكر لحظاتنا معًا رأيت دفترًا أحمر اللون مكتوبٌ عليه بقلم اسود(رسائل لن تصل ابدًا)... احضرته لأفتحه وأرای ما تلك الرسائل انها مائةُ صفحة يا رباه ما كل هذا! كانت رسالته الأولى مليئة بالعتب واللوم، وكان يخاطبني بها هل هذه الكلمات لي؟! وبدأت بقرأتها بِحُبٍ وحزن...

؟أحبكِ، وأين أنتِ الآن

رأيتكِ تجلسين في حلمي على إحدى الغيمات

ِتداعبين الطيور وتضحكي حتى أنني فتنتُ بك

من أنتِ ولِما تشبِهينها كثيرًا، هل عُدتي إليّ مجددًا

اِذهبي لأراكِ، أخرجي من حُلمي لتكون في واقعي.

رأيتها اليوم بعد غيابٍ طال الخمسة سنين، بحلةٍ وشعرٍ ناري أيعقل أنها عادت لي، من أنتِ!

1998/2/1..... الثلاثاء

وفي رسالته الثانية كان يتغزل بسحري الذي جعله يعشقني من أول مرة...إنها تبتسم لي لأول مرة...انها كالشمس التي اضاءت حياتي، انها تشبهها كثيرًا من تلك الفتاة وهل هذا الجمال وتلك البراءة يملكها بشر! يارباه إنها أخذت عقلي بل أخذتني كلي!

1998/2/2 ...الاربعاء

كانت كل هذه الرسائل المدونة لي، وكلها انتهت بعلامة تعجب وكأنه متعجبٌ من حاله كيف تعلق بي من أول ابتسامة أيعقل خاطبني كثيرًا وكأنه يعرفني من قبل أن يراني او أنه كان ينتظرني، هل أحبني من ذاك الوقتِ حقًا؟

وفي رسالته الثالثة كان قد يئس مني....

لأول مرةٍ أنتظر أحداهن من بعدها، هل يا تُرى ستتنسيني اياكِ، كنتِ حبيبتي الأولى وهي من ستكون الثانية والأخيرة!

السبت...٥/٢/١٩٩٨

يتبع...انا أحببتك لكنني لم اشعر بشعور الحب نفسه عندما أحببت سالي، لحب سالي شعورٌ مختلفًا وطعمًا اخر... سامحيني سأذهب لأنني أحببتك وأخاف أن تذهبين أنتِ الأخرى وأموت وحدي، وداعًا ياحبيبتي.

خاطبني كثيرًا وكأنه يعرفني من قبل أن يراني او أنه كان ينتظرني، هل أحبني من ذاك الوقتِ حقًا؟ هل كان سيترُكني هو ايضًا؟

****

وفي رسالته الرابعة كتب حائرًا...

لأتحرر من حُبكِ وارحل بعيدًا

عليكِ نسيان قلبي وهجره، إبتعدي ارحلي إنسي، ارجوكِ لا تفعلِ

أُريدكِ احتاجكِ اذكركِ دومًا ، أرجوكِ إذهبي

ينتابني شعور الأجل والكلا، الرغبة والنفور

التحرر منكِ والتمسك بكِ، الموت مثلًا، يشبه العدم والندم او حتى الالم، أهذا هو الحب؟

أتسائل دائمًا أيستحق قلبي المشرد هذا الكم الهائل من العتب والتعب؟

الاثنين ٧/٢/١٩٩٨

كيف لكَ يا عزيز أن تتركني !

وكيف سأعيش مجددًا بكل هذه الخيبات والتشتت، هل سأحب بعدك؟ أم سأظل لكَ وللأبد.

غفيت على صوت المطر الغزير وانا اهلوس بأسمه، عز..يز عز..يز

استيقظ سام على صوتي وهو قلقٌ حالي وآتى وقبل جبيني، سيذهب في الصباح الباكر الى روما ليدرس هناك وسأظل وحدي مجددًا، للصراحة أنا من أجبرته على السفر لكي لا يرآني أضعف يومًا بعد يوم، فأنا شعاع قوته الوحيد بعد أن رحل عزيز الذي تبقى لي بعدهم تلك

الدفاتر التي أصبحت فوق المئة دفتر وكلها مليئة بالحزن والتعاسة، أي مليئة بحياتي...مليئة براية وأشباهها.

ضاقت براية السبل حتى اسندت رأسها على قبرعزيز،تنهدت وكانها شعرت بالراحةِ بقربه، تحسست التراب بيدها الشمال واشتمته وضعت الزهور فوق القبر وبكيت...

هانت على جميع من حولها، عليك وأنت في حتى السماء! ايعقل ان روحك في السماء وجسدك هنا تحت هذا التراب، ما أصعب الفِراق وما أقسى الموت، يفرق جسدك عن روحين إحداهن معلقتًا بك والأخرى لك، واذا أخذت الأولى تفنى الثانية، لكن الموت حق وأنا أحق بكَ منه، فأنا)أ..ح..ب..ك(بكل ما تحمل الكلمة من آسى وحزن!... وقفت للحظة أفكر من المسبب في هذا من الذي حرمني اياك! من ابعدك عني؟

أنت بريء جدًا لِما أنت ولست أنا.

عاودت ادراجي للماضي قليلًا عام أو عامين، لأذكر ذاك اليوم المشؤوم الذي يعتبر من أنذل ايامي، عندما دخلت

للمنزل ورأيتك والدماء حولك أعتقدت أنها مزحةً وعندما أقتربت منك كان ما أعتقدته خاطىءٌ جدًا، فأنت ممددًا على الارض وبقلبك رصاصةٌ لا اعرف مصدرها والى الآن وانا ابحث عن صاحب السلاح الذي قُتلت به ومن غَرِيمُك يا قلبي؟

خرجت من المقبرة وانا ابكي بألمٍ وخوف مما سيأتي بعد! لم ابكي بهذه الحرقة من قبل كنت خارجةً من المقبرة للذهاب للمنزل واذ انه يهيء لي أنني رأيته نعم إنه هو ياااه لم يتغير ابدًا، لِما هو هُنا لِما؟!

هل سيعرفني بعد هذا الوقت كله؟ إن التجاعيد بارزةٌ على جبينه ينظر الي بغرابة ويعيد النظر مرةً اخرى ليتأكد من انني أنا نعم هي نفسها انها راية كانت عيناه تقول هذا!...علامات الغرابة اكتسحت وجهه وكأنه يقول بعد الكثير من سنوات الغربة وجدت وطني الذي طالما كَبُرت وأنا ابحث عنه، اقترب مني قدم تلو الاخرى ينظر الي هو كان يقترب وقلبي كان ينغزني بشدة لِما الآن وما تلك الصدفة الحمقاء، وقف أمامي وحجب عني اشعة الشمس الحارقة توقف نظري بقربٍ اكثر تمعن بملامحي دقق وكأنه يتفحصني...ثم قال راية لم تتغيري ابدًا منذ زمنٍ

طويل لم آراكِ، كيف حالك؟هل مازلتِ وحيدة دوني هل انتظرتني الى الآن، وصمت

الحديث الذي كان يروادني بعقلي وأنني اريد قتله ولعنه ما الذي أعاده الآن وأي بلوةٍ تلك التي أتت بهِ إلى هنا مالذي يريده الآن نظرت له بقسوةٍ وحقد وقلت له

َعفوًا من أنت؟ هل نسيتني أيعقل، لِمَ يا راية لِم

تركته يكلم نفسه وغادرت المقبرة مسرعة، ذهبت ولم آرى امامي لا سام ولا احدٍ غيره سياخذني من عزيز اصابتني السماء وانا في طريقي للمنزل وكأن عزيز لا يريد رحيلي عنه ويقول لي لاترحلي أبقي بجانبي دفئي قلبي وهدئي من قلقي يا راحتي ومسكني وسكينتي، هذا ما قاله في رسالته الخامسة...كنت في ذاك الوقت اود الرحيل عنه أود تركه لكنه تمسك بي بقوة واحتضنني حتى أنني اصبحت داخله، كم من حبٌ اشقى المحبين وعذب قلوبهم وكم من حبٍ فرقهم ولعن هذا وهذه...كان يصف فِراقي بالشمس التي تغيب ولا تعود ابدًا كان يُحبني جدًا، وأنا أحبه!..ماذا عن سام لما عاد بعد كل هذه السنين! أنني أشمئز منه وألعنه دومًا، ما السر وراء أختفائه وما السر ؟ايضًا وراء عودته

؟هل لسام يدٌ بموت عزيز

قوتي التي كنت أبنيها ستنهار قريبًا فلا أحتمل المزيد من الألم والصدمات، يارب أرحمه وقَوني دونه فأنا بك ياربي أقوى، كن معي يالله فأنا بحاجتك دومًا...أعتني به يالله فهو الآن زائرك للأبد

وكانت رسالته تلك بقسوة لم أنسى ما حصل بتلك الايام فهو كان يعاتبني على هجري له وأعتقد وقتها أنني خنته كما قلت له صَدقني على نفسي، شَكك من حبي له! يال خيبتي به في ذاك الوقت ومع هذا ظل يحبني ولم يفقد الأمل بعودتي مجددًا، لم يهمهه آمر الخيانة او الرسالة كل ما كان يهمهه راية فقط صديقته وحبيبته وزوجته وأخيرًا أمٌ لأبنه...

رسالته السادسة

كفاكِ تكبرًا ياجميلة

كفاكِ عبثًا بمشاعري،أبقي ولا تذهبي، أرجوكِ فأنا أحبك، اِبتعدي عن الحزن لا تتركي يداي، اريد الاِطمئنان عليكِ، أرجوكِ أحبيني وسأعشقُكِ أعدكِ بهذا، عند رؤيتي لكِ أُجن أصبح كالطفل الذي يريد لعبته، أغارُ عليكِ وحبي لكِ

تملك، فكل من يراكِ يُفتن بتلك الشامةِ والإِبتسامة، لا تضحكين لهم فقلبي يمتلىءُ بالهم، اِضحكي كما تشائين أمامي فأنا أنسى نفسي وأشردُ بكِ يالكِ من محتالة سرقتي قلبي وتريدين المزيد، تعلقت بكِ وبتلك الليالي التي كانت بيننا، أرجوكِ لاترحلي فأن قلبي اِمتَلأَ بالحنين والوله، لا تغيبين أكثر فلن أعذرك، أتتخيلين أن كل أحلامي هي أن أعرف ماهي أخبارك، تعالي ولا تتأخرين، سأحترقُ من الغياب

إنتهت تلك الرسالة بإنزعاجي وقلقي...، ماكان علي الابتعاد عنه لو لِلحظة انها من أشد وأقسى لحظات الندم التي ستبقى ذكرياتها كالندوب في قلبي...ما زالت روحي معلقة في اللامكان ايعقل أن هذا كابوسٌ مزعج وسأستيقظ منه بالنهاية، مررت بأيام تَكسر قلبي بها، سقطت...
وندمت على لحظات أجبرت نفسي بالتعايش معها، بكيت لمن لا يستحق، تألمت ولكنك كنت أملي الوحيد ومازلت كذلك، أنت رحلت لكنك بداخلي مازلت هنا بين كل نبضةٍ ونبضة مابين اللهم وآمين، فأنا عالقةٌ بك لا مُحال، أقف كل يومٍ لأرى هذا العالم السوداوي، أتنهد كثيراً وأشرد في فكري إلى المالانهاية، أظن أنني تجاوزت الخامسة

والأربعون ولكن لِكبر همي أشعر بأنني في أواخر التسعين، ثم أنظر الى نفسي بالمرآة لأجدني عجوزًا ولقد أرهقتني الدُنيا والخيبات ومقتل عزيز.

...

...

؟كيف أدرك أن قلبي لم يعد لي

؟كيف أُنادى بالحب وأسمُكَ أصبح بأسمي

كيف سأجرؤ على النظر في عيناك الخائنتان وسأكذب قلبي مجددًا وأقول لا، لا أعتقد لم يفعلها مرةً أخرى، أتدرك إلى أي حدٍ أثِقُ بك؟، أنني أكذب قلبي مجددًا لأجلك، لذا أرجوك أن لا تكون قد فعلتها، سَتُحزن قلبي وتعتذر عما أحزنته وسأعذرك ثالثًا ورابعًا حتى أُفنى وسأطلب منك العُذر سيدي لأنني ظننت بِكَ سوءًا وما عاذ

الله لقلبي أن يكذب، لكنه لا يهون عَليّ أن أكَذِبكَ أمامه، أتعلم حجم الخيبة التي زُرعت بقلبي ونَمت مع كل ذرة كَذب! هل تذوقت طعم خسارة نفسك لتحيا بِحبٍ لا وجود له؟ وستقول أنني أعاني من اختلالٍ في عقلي وأنني أهلوس بهذا وذاك وأنني المذنبة...حقًا

دق جرس المنزل من سيأتي في هذا الوقت المتأخر، اقتربت من الباب بهدوء، من هناك؟!

واذ بصوته الذي لم أنساه إلى الآن وكأن السم أنتشر بجسدي وأقشعر بدني، فتحت الباب ونظرت اليه كانت نظراتي له مليئة بالاستغراب والكره، ماذا تريد ولِمَ أنت هنا؟

دخل وجلس وكأن البيت بيته وهو يقول سأشرح لكِ كل شيء ارجوكِ اسمعيني! وبدأ يتحدث...لم أصدق كل ما قاله او سيقوله حتى، لأن الذي ترك قلبًا بعد أن علقه به لا يؤتمن على أي شي وسيظل خائن مهما أوفى، ظل يتحدث كثيرًا وأنا أفكر بعزيز الذي صار جزءًا من خيالي، تحدث عن الرسائل التي كان يرسلها لي وعن الانتظار الذي بات يؤرقه وعن الكثير لم يهمني شيء مما قاله وأنا أشعر بوجوده جالسٌ معنا وينظر إلي بِحُب ويبتسم، أنا قلبي

متعبًا وميتًا، لايهمني شيء من بعده، لم أعره أي انتباه وكأنه ليس موجودًا، مرت سبع ساعاتٍ وهو يتحدث ويتحدث يخرج من دوامة ويكذب بالأخرى، وأعذاره المتتالية التي لم تنتهي، وقفت وقلت له كفى ارجوك أذهب من هنا لا أريد رؤيتك

فهو له في الماضي حُبٍ سيء وسمعةً اسوء، متطفل ؟أرعن ظن نفسه كما كان سابقًا! مالذي أعاده الآن

أشعر أنني في عذاب القبر وأنا في هذه الدنيا وكأن العالم أجتمع ليكسرني... كفى انني اتمزق ومن سيعيدني كما كنت وعزيز الذي أحبه لم يعود!

ارجوك تعال !

نظر سام الي بحزن وقال الهذه الدرجة أصبحتي باهتةٌ وقاسية؟! اغلقت الباب وجلست على الأرض أبكي ونمت كالمتشردين على الارض عند الباب وتبًا للموت وآلف موتٍ يميته...بعد عدة ساعات استيقظت على صوت سام آبني (أمي افتحي، امي هل انتِ بخير؟)،وقفت ورؤية عيناي غير واضحة مشوشة مغبشة فتحت الباب كنت لا آراه وأغشيَّ عليّ بين يده حبيبي الذي تبقى من رائحة ابيه، آخر صوتٍ سمعته امي حبيبتي امي !!!!!

راية عزيز بعد كل هذه السنين وأخيرًا انهم معًا..(ابني يا قلب أُمك ويا اجمل شابٍ رأته عيني بعد ابيك أحفظ تفاصيل قصتنا وابتعد عنها، اقترب من الحب وإلى الحب وقل لها هيا بنا نعيش كما عاشَّ والدي فهم أبناء الحب والحب اباهم الكبير)

..... ما قبل النهاية

أظن أن الحب عابر سبيل يسقطنا في غرامه ويا ويح قلوبنا إن أتمت سلامه يرهق قلوبنا ويتعب أنفاسنا، ونصون مُحبينا بكل ما نملك، ويا ويح قلوبنا إن أُغرمت، فقد تكون في هذه اللحظة أُهلكت...وتسألت لِما لم يكن هناك ضمير للنفي، لنفي بعض الاحداث من الذاكرة او حَذفِها لبعض الوقت، او أن يحدث لنا فقدان ذاكرةٍ مؤقت، كي نشعر بالقليل من الطمأنينة ونشعر بالراحة.

لِم علينا تجربة كل شيء وتذوق مُره قبل حِلوه لِم علينا رؤية الضعف في لحظات والقوة في لحظة واحده، لِم يكون شعور اليأس له الأولوية بكل شيء، حتى عند الحرب يفوز العدو أولاً وبعدها نعلن أنتصارنا وهكذا هو الحب نعيش أسوء لحظاته وفي أخر همسات لنا مع

محبينا تبدأ اللحظات التي تتجمل بحقيقتها، تبدأ الأفواه بالنطق بكل ما يلزم لفظه من أوانه لماذا الحياة عكس الحياة والموت يُحيّ حبًا أخر ....

بكيت ورائك كثيرًا ولم يُجدِني بكائي أي نفع

كنت أريد أحتضانك فحسب، لا أريد شي سوى أن أدفن شوقي بين ذراعيك وابكي حتى ارويك وأعيد لك الحياة

تركتني و ذهبت، الحنين الذي يملئني بحجم تلك السنين التي قضيناها سويًا، بقيت في حيرتي وانتهيت وأنت لم تأتي، وانه لا يهون علي أن اتركك وصعبٌ عليَّ نسيانك

النهاية ..

للكاتبة... راما شريف الملاجي